

بسم الله الرحمن الرحيم

## رياض الصالحين

شرح حديث جابر بن سمرة رضي الله عنهما -: "كُنْتُ أَصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الصَّلَوَاتِ فَكَانَتْ صَلَاتُهُ قَصْدًا وَخُطْبَتُهُ قَصْدًا"

الشيخ: خالد بن عثمان السبت

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فما ساقه الإمام النووي رحمه الله - في باب الاقتصاد في الطاعة حديث جابر بن سمرة وهو أبو عبد الله، ويقال: أبو خالد، ويرجع نسبه إلى هوازن من عدنان، وهو يعدّ من صغار الصحابة رضي الله تعالى عنه -، وأبوه أيضاً من أصحاب النبي -عليه الصلاة والسلام-، وقد جاء عنه أنه قال: "صليت خلف النبي -صلى الله عليه وسلم- أكثر من ألفي صلاة"<sup>(١)</sup>، وقد ذكرنا في بعض المناسبات في الأيام السابقة أن الإنسان يصلي من الفرائض في العام الواحد ألفاً وثمانمائة صلاة، فمعنى ذلك أنه قطعاً صلى خلف النبي -صلى الله عليه وسلم- أكثر من سنة، فالحاصل أنه رضي الله تعالى عنه - صحب النبي -صلى الله عليه وسلم- مدة من الزمان، روى عنه نحواً من ستة وأربعين ومائة حديث، انفق الشيخان على حديثين منها أو ثلاثة، وروى الإمام مسلم ثلاثة وعشرين حديثاً انفرد بها، أما وفاته فكانت في سنة ست وستين من الهجرة.

يقول: "كنت أصلي مع النبي -صلى الله عليه وسلم- الصلوات فكانت صلواته قصداً، وخطبته قصداً"<sup>(٢)</sup>، ومعنى صلواته قصداً وخطبته قصداً أي: أنها متوسطة بين الطول والقصر لم تكن صلواته طويلة ولم تكن صلواته قصيرة -عليه الصلاة والسلام-، وهذا التوسط كما ذكرنا من قبل قضية نسبية، التوسط أمر نسبي سواء كان ذلك في الأفعال أو في الآراء والمفاهيم، وما إلى ذلك، ولو أن القارئ قرأ بالناس في صلاة الفجر بسورة (ق) كاملة في ركعة لعدوا ذلك من الإطالة، مع أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كانت صلواته قصداً -وكما في حديث جابر إلى تخفيف- ومع ذلك كان يقرأ في الفجر ما بين الستين إلى المائة، وقرأ -صلى الله عليه وسلم- في المغرب بالأعراف، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- تقام صلاة الظهر ويذهب الذهاب إلى البقيع، ويقضي حاجته ويتوضأ ويرجع والنبي -صلى الله عليه وسلم- في الركعة الأولى، هذه متوسطة، كانت صلواته قصداً، وقال -صلى الله عليه وسلم- لمعاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه -: ((أفتان أنت يا معاذ؟))<sup>(٣)</sup>، حينما كان معاذ رضي الله عنه - يصلي مع النبي -صلى الله عليه وسلم- ثم يذهب إلى قومه فيصلي لهم.

<sup>١</sup> - أخرجه مسلم، كتاب الجمعة، باب ذكر الخطبتين قبل الصلاة وما فيهما من الجلسة، (٥٨٩/٢) رقم: (٨٦٢).

<sup>٢</sup> - أخرجه مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (٥٩١/٢) رقم: (٨٦٦).

<sup>٣</sup> - أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب من شك إمامه إذا طول، (١٤٢/١)، رقم: (٧٠٥)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب القراءة في العشاء (٣٣٩/١)، رقم: (٤٦٥).

ومعاذ رضي الله عنه- من علماء الصحابة ومن قرائهم، حتى إنه صلى بهم ذات ليلة فانفرد رجل من القوم وصلى، فتكلم في حقه معاذ رضي الله عنه- وكأنه رماه بالنفاق، فغضب الرجل، وقال: ستعلم غداً من المنافق، وذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم- وأخبره بما جرى من معاذ رضي الله تعالى عنه- فغضب النبي صلى الله عليه وسلم- غضباً شديداً، وقال لمعاذ: ((أفتان أنت يا معاذ؟)).

ولا يصح بحال من الأحوال أن تكون بأيدي الناس عصاً يطالبون الأئمة أن يقرعوا قراءة لا توافق السنّة، يقرعون فيها آيات قليلة أو من قصار السور في مثل صلاة الفجر أو نحو هذا، أبداً، وإنما التوسط والاعتدال في عهد النبي صلى الله عليه وسلم-، ولو أن أحداً طبقه اليوم لعد الناس ذلك من غاية المشقة والإطالة ولما استطاعوا أن يتوافقوا معه بحال من الأحوال.

وعلى كل حال تراعى هذه، والإمام أحمد لما سأله بعض أصحابه حينما كان يصلي بالناس التراويح كم يقرأ؟ فقال: اقرأ بهم عشر آيات أو نحو ذلك، يعني: في الركعة الواحدة في صلاة التراويح.

فالمقصود أن الإمام أحمد قال: إن ورائك من القوم، يعني: ناساً كسالى وضعفة، فتراعى حال هؤلاء الناس، لا ينفرون من الصلاة ومن المسجد.

وكانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم-، وفي زمن الصحابة كم يقرأ الواحد منهم؟، قد مر في أحاديث نكرناها في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم- أنه قرأ البقرة والنساء وآل عمران في ركعة واحدة، وهكذا كانت خطبته -عليه الصلاة والسلام- كانت قصداً.

وقد جاء في الحديث: ((إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقه الرجل، فأطيلوا الصلاة وأقصروا

الخطبة))<sup>(٤)</sup>، والنبي صلى الله عليه وسلم- أوتي جوامع الكلم، لربما قام على المنبر وقرأ سورة (ق)، هذه هي الخطبة، ومن نظر في الخطب المنقولة المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم- وجدها قصيرة، ولذلك فإن التطويل في الخطب طويلاً يشق على الناس، وفيهم من قد يحتاج إلى الخروج للخلاء، أو نحو ذلك من أصحاب العلل والأمراض وكبار السن، وما إلى هذا، وهي عبادة ينبغي أن يقبل الناس عليها بشيء من إشراف النفس، ومحبة التعبد، وانسراح الصدر، لا تكون همماً ثقيلاً يؤدي ذلك بالناس إلى النفور من خطبة الجمعة ومن حضورها أو التبكير لها، فنكون الخطبة بصورة يفهمها الناس بحد ملائم لا إطالة فيه بحيث يشق عليهم، وينظرون إلى الساعة ويتململون ويضيع بعض الكلام بعضاً، وإنما بكلام جزل مختصر يخطب الإنسان فيهم تبلغهم المعاني من غير شرح وتطويل وتحوّل الخطبة إلى محاضرة، هذا غير صحيح، وكون الناس بحاجة إلى كثير من التفصيلات اليوم لأنهم لا يحضرون مثلاً كثيراً من مجالس الذكر ليس بمبرر؛ لأن هؤلاء إذا طالت الخطبة ناموا وانصرفوا عنها وتشاغلوا وانصرفت أذهانهم، فهم لا ينتفعون بل لربما نفروا أصلاً من حضور الخطبة.

هذا، وأسأل الله -عز وجل- أن يعيننا وإياكم على نكره وشكره وحسن عبادته، وأن يسلك بنا صراطه المستقيم، وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه.

<sup>٤</sup> - أخرجه مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (٥٩٤/٢)، رقم: (٨٦٩).